تسامح العربية اللغوي مع ذاتها مثلٌ من الفصحى والعامية والمدارس النحوية والقراءات القرآنية

الدكتور لؤي عمر بدران
أستاذ مشارك – قسم اللغة العربية – كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
جامعة زايد – دبي
loaybadran@yahoo.com

Linguistic tolerance of Arabic with itself, such as classical and colloquial Arabic, grammar schools and Holy Qur'an

Dr. Louay Omar Badran
Associate Professor - Department of Arabic Language - College of Humanities and Social Sciences
Zayed University - Dubai
loaybadran@yahoo.com

الخلاصة :

في مجتمعات تزايدت فيها الأحداث، وتعاظمت فيها المشكلات، وكثرت فيها الخلافات، تزداد حدة التعصب في جميع المحاور والمجالات، فترى التعصب في الدين، وفي السياسة، وفي الرياضة، وفي العلوم باختلاف تخصصاتها، من أجل ذلك كله، كان لا بد من إيجاد الحلول للوقوف بوجه هذه الظاهرة والتصدي لها؛ مما استدعى دراسة النقيض من التعصب من خلال ظاهرة التسامح اللغوي للوقوف عليها ودراسة جوانبها، والدعوة إليها، ولما كانت هذه الدراسة تصف الظاهرة وتبين ملامحها، فإن الباحث اختار المنهج (الوصفي التحليلي)، الذي يقوم بجمع المعلومات والملحوظات حول الموضوع محل الدراسة، ثم يعمل على بحث الظاهرة وتحليل عناصرها.

وبالرغم من مساهمات الباحثين في مجال البحث العلمي اللغوي الذي لا شك بلغ ذروته في هذه الفترة الزمنية؛ إلا أن الاهتمام بمسألة التسامح اللغوي لم ينل هذا الجهد الذي يناسبه من كثير من الباحثين؛ لذا سنحاول تناول هذه المسألة في إطارها العربي، لكنه على نطاق واسع من الأقاليم، فستتناول الدراسة مسألة التسامح اللغوي بين المدارس النحوية والقرآت القرآنية واللهجات العربية.

الكلمات المفتاحية : التسامح ، اللغة ، المدارس النحوية ، القرآت القرآنية ، الفصحى والعامية .

Abstract:

In societies in which events, problems, and disagreements have increased, fanaticism becomes increasingly catastrophic in all areas and fields. So, you may see fanaticism in religion, in politics, in sports, and in sciences with different specializations. For all of this, it was necessary to find solutions to stand against such phenomenon and confront it, which necessitated examining the opposite of fanaticism through the phenomenon of linguistic tolerance to identify it, study its aspects, and advocate it. Since this study describes the phenomenon and shows its features, the researcher chose the Descriptive Analytical approach, which collects information and observations about the subject under study, then works on studying the phenomenon and analyzing its elements.

Despite the contributions of researchers in the field of linguistic scientific research, which undoubtedly reached its peak in this period of time; However, attention to the issue of linguistic tolerance did not receive the appropriate effort from many researchers. We will therefore try to address this issue within its Arab context, but it is on a wide range of regions. As the study will address the issue of linguistic tolerance between grammar schools, Qur'an recitation, and Arabic dialects.

Key words : tolerance, language , grammar schools , Qira at , classical and colloquial Arabic

المقدمة :

لا يُتَصوَّر بحالٍ أن يقومَ مجتمعٌ دون وجود التسامح، فهو ميزان القبول بين الناس في معاملاتهم اليومية، وهو لا شك مصطلحٌ واسعُ الدلالة، يمكن أن ينصرفَ الذهنُ عند إطلاقه إلى كثيرٍ من المعاني التي قد تبدو لكل منها دلالتها ومكانتها الخاصة؛ فالتسامُح هو حلقة الوصل التي تربط بين العديد من المفاهيم بشكلٍ يجعلها في دوائر مختلفة باختلاف مراميها التي تتقاطعُ عند التسامح.

إلا أن وجود التسامُح يُزيد من فرصة تنامي هذه المجتمعات إلى ما يُسمَّى بقِمَّةِ الحضارة الإنسانية؛ ذلك أنَّ التسامُح يعد صورة من صور التضحية التي من دونها تصبح المعاملات جافة، تفتقر إلى ماء الود الذي يروي ظمأ الإنسانية، والذي بدوره يُزيد من مساحات التفاهم بين المجتمعات.

مشكلة الدراسة :

في مجتمعات تزايدت فيها الأحداث، وتعاظمت فيها المشكلات، وكثرت فيها الخلافات، تزداد حدة التعصب في جميع المحاور والمجالات، فترى التعصب في الدين، وفي السياسة، وفي الرياضة، وفي العلوم باختلاف تخصصاتها، من أجل ذلك كله، كان لا بد من إيجاد الحلول للوقوف بوجه هذه الظاهرة والتصدي لها؛ مما استدعى دراسة النقيض من التعصب من خلال ظاهرة التسامح اللغوي للوقوف عليها ودراسة جوانبها، والدعوة إليها.

منهج الدراسة :

لما كانت الدراسة تصف الظاهرة وتبين ملامحها، فإن الباحث اختار المنهج (الوصفي التحليلي)، الذي يقوم بجمع المعلومات والملحوظات حول الموضوع محل الدراسة، ثم يعمل على بحث الظاهرة وتحليل عناصرها.

ماهية التسامح :

التسامح لغة: التسامح والسماحة خلاف الشدة فقولهم: "الحنفية السمحة: ليس فيها ضيق ولا شدة"[1]، ومن معانيها أيضا: اللين نحو قولنا: "أسمحت الدابة بعد استصعاب: لانت وانقادت"[2]. وبناء على هذا الفهم اللغوي السابق يرادف معنى التسامح مجموعة من الدوال كما يظهر في الشكل١.

التسامح اصطلاحا: انطلاقا من المفهوم اللغوي شكل علم الاجتماع على ما يبدو مفهوما اصطلاحيا للتسامح، فاقترب من المفهوم اللغوي وكاد يكون مطابقا له، فلا نجد إشكالية حول مفهوم التسامح عند جل علماء الاجتماع إلا أنه اتخذ تقعيده المفاهيمي بحسب وجهته وتفصيله، فمثلا انطلاقا من مفهوم التسامح اللغوي على أنه (اللين) تشكل مفهوم التسامح الاصطلاحي ليدل على قبول الاختلاف، وبذا وجه علم الاجتماع الخريطة المفاهيمية للتسامح إلى الشؤون الحضارية والسياسية والدينية، فالتسامح لا يقتصر على علم دون علم، فهو ينسحب على كثير من العلوم والحقول الآنفة الذكر وصولا إلى العلوم اللغوية.

وبالرغم من مساهمات الباحثين في مجال البحث العلمي اللغوي الذي لا شك بلغ ذروته في هذه الفترة الزمنية؛ إلا أن الاهتمام بمسألة التسامح اللغوي لم ينل هذا الجهد الذي يناسبه من كثير من الباحثين؛ لذا سنحاول تناول هذه المسألة في إطارها العربي، لكنه على نطاق واسع من الأقاليم، فستتناول الدراسة مسألة التسامح بين المدارس النحوية والقرآات القرآنية واللهجات العربية.

الباب الأول

الفصحى والعامية

تعدّ مشكلة الفصحى والعامية واحدة من أكثر القضايا التي تم طرحها مرارًا وتكرارًا في السنوات الأخيرة، ويرجع السبب في ذلك إلى ظهور

طائفتين؛ واحدة تدعو إلى التخلي عن الفصحى واستبدالها بالعامية في مختلف الشؤون المتعلقة بالكتابة والخطابة والحوار، وكتابة القصص والمسرحيات والكتب بمختلف أنواعها، وقد كانت دعوة هؤلاء بهدف الحفاظ على بقاء اللغة العربية واستمرارها وحمايتها من الموت، ذلك أن اللغة العربية الفصحى من وجهة نظرهم تشبه كثيراً العديد من اللغات الكلاسيكية مثل اللغة اللاتينية التي اندثرت وماتت بمرور الزمن، وذلك لعدم تطويرها، وتم استبدالها باللغات اللاتينية الجديدة مثل: الإيطالية والفرنسية والإسبانية والبرتغالية.

أما الطائفة الثانية فتدعو إلى التمسك باللغة العربية الفصحى؛ إذ ترى أن الحل الوحيد للحفاظ على اللغة وحمايتها هو الحفاظ على قواعدها الأصلية وأصولها، واستخدامها في شتى مجالات الحياة لحمايتها من الاندثار أو التأثر بأي مؤثرات خارجية والتي يمكنها القضاء على لغتنا الأصلية واستبدالها بأخرى. [٣]

لقد بدأ ظهور ما يُسمَّى باللغة العامية إلى جانب اللغة الفصحى في مختلف أنحاء العالم؛ إذ تم اعتبار ذلك بمثابة ظاهرة لغوية في مختلف دول العالم، فقد كانت في البداية تُستخدم في بعض المجالات بينما كانت الفصحى تُستخدم في مجالات أخرى.

ولكن سرعان ما انتشر استخدام اللغة العامية بصورة كبيرة حتى أصبحت هي اللغة المستخدمة بين نطاق كبير من الناس، كما أصبحت تستخدم في مختلف المجالات والتعاملات الكلامية في الحياة اليومية. [٤]

ولكن علينا أولاً وأخيراً أن نكون على قناعة تامة أن الحفاظ على اللغة العربية الفصحى هو بمثابة حفاظ على وحدة اللسان العربي، حيث إنها هي اللغة المستخدمة في القرآن الكريم، وفي[٥] تأدية الصلوات، ومن ثَم يجب الحفاظ عليها لإعطائها مكانتها الرفيعة التي تستحقها بين اللغات العالمية الأخرى، فقد

قال بروكلمان عن فضل القرآن الكريم على اللغة العربية الفصحى: "بلغت العربية بفضله من الاتساع ما لا تكاد تعرفه لغة من لغات العالم".[٦]

إلا أن الناظر في تاريخ اللغات يجد أن اللغة الفصحى بدا عليها الجمود ابتداء من القرن الثاني الهجري ففي ذلك الوقت بدأت مرحلة تطور العاميات، ويرجع السبب في ذلك إلى وجود حدود الفصاحة التي تم فرضها في الزمان حول العاميات العربية، كما أن جميع ما كانت تبتكره الفصحى كان يصب في طريق إثراء العاميات، وذلك بفضل المرونة الموجودة بالعاميات، والتي كانت بعيدة كل البعد عن فرض أي شروط على الناس المتحدثة بها حول ما يأخذون خارج حدود الزمان، هذا إلى جانبِ اتساعِ رقعة الدولة الإسلامية، وما آلت إليه من اختلاط العجم بالعرب، وظهور اللحن في اللغة.

ومنذ ذلك الحين وما تلاه، أصبحت اللغة الفصحى هي لغة الكتابة حيث تم استخدامها في كتابة نشرات الأخبار، والمحاضرات، والخطب والحكايات مثل قصص ألف ليلة وليلة، وحكايات الظاهر بيبرس، بينما العاميات لغة الخطاب الشفوي. كما اتجه بعض الكتاب المعاصرين إلى الجمع بين الفصحى والعامية؛ إذ تمت المزاوجة بينهما في كتابة بعض الخطب والروايات التي اعتمدت على اللغة الفصحى في السرد، بينما استخدمت اللغة العامية في كتابة الحوار بين شخصيات الرواية لجعلها تميل إلى الجانب الواقعي لما يحدث في الشارع.[٧]

وينبغي الإشارة إلى استخدام اللغة العامية في مجال الأدب العربي المكتوب باللغة الفرنسية مثل ترجمة روايات ألبير قصيري من الفرنسية إلى اللغة العربية العامية خاصة في أواخر الثلاثينات، والتي تتميز بجمال لغتها وسهولته بالرغم من صعوبة مفرداتها اللغوية والأدبية، كما أشار قصيري إلى أن اللغة العامية

المصرية من الصعب ترجمتها بدقة إلى لغات أخرى كترجمة كلمة (بس) و (العيش والملح) وغيرها من الكلمات والجمل المماثلة، بينما يسهل على المترجم ترجمة النصوص المكتوبة بالفصحى إلى أي لغة أخرى بدقة. [٨]

ولكن علينا ألا نتجاهل مدى الخطر التي تُشكله المزاوجة بين استخدام الفصحى والعامية، والتي تشكل خطرًا حقيقيًا على اللغة العربية، يقول بلال البدور في صحيفة البيان: "اللغات واللهجات لا تمثل خطرا على اللغة العربية التي نظم بها شعراء الجاهلية، فلا تزال نصوصهم تقرأ كما كتبت، فالفصحى باقية، وعلاوة على ذلك ما يؤكده النص القرآني منذ نزوله وسيبقى ما بقيت الحياة، إذاً لا خطر على لغتنا الجميلة وستبقى ما بقي الدهر. أما الازدواجية بين كلتيهما فتكمن في عدم إمكانية التواصل بين أبناء الأمة العربية".[٩]

أما عن البدايات فتعدّ اللغة العامية أقدم من الفصحى وأعرق منها؛ إذ عاشت خصائصها في العصور العربية الأولى، فقد كانت العامية في تلك الفترات تمثل لهجات لمختلف القبائل والعشائر، ثم بدأت بعد ذلك صراعات عديدة بين هذه اللهجات المختلفة، وأخذت تتجمع لتشكل قالب واحد وهو ما يُسمى باللغة الفصحى.

في حين ظلت اللهجات العامية مستخدمة كوسيلة للاتصال والحديث الدارج بين الناس، ومن ثَم بدأت تتوارثها الأجيال جيلا تلو الآخر عبر العصور والأزمنة المختلفة، حتى انتهت إلى ما هي عليه الآن، مكونة مجموعة من الأشكال التي يتحدث بها أهل اللغة العربية في مختلف أنحاء العالم.[١٠]

ففي عصرنا اليوم، نجد أن العرب يتحدثون باللهجات العامية، ويميلون إلى استخدامها في محادثاتهم وحواراتهم ومحافلهم على كافة الأصعدة، كما ظهرت كثير من العاميات المختلفة والمتعددة في كل بلد، بل يمكنك أن تجد مجموعة من العاميات في البلد الواحدة أيضاً؛ مما أدى إلى ظهور تفكك وصراعات بين الدول العربية نتيجة تعدد اللهجات العامية في كل بلد، والتي

تختلف كل الاختلاف في البلاد الأخرى، فعلى سبيل المثال يمكنك أن تجد أبناء البلد الواحد يجدون صعوبة في فهم لغة بعضهم البعض، كما يصعب على أبناء دولة ما فهم لغة دولة أخرى مثل فهم أهل العراق للغة أهل المغرب وهكذا.

من هنا بدأت الدعوة مرة أخرى إلى النظر في اللغة التي تعدّ ليست فقط بمثابة وسيلة تواصل بين الشعوب، بل هي أساس وحدة الشعوب ووجود ترابط بينهم في مختلف المجالات، مهما تباعدت واختلفت الحدود الجغرافية. [١١]

وعند التطرق لفكرة الازدواجية في اللغة التي عرّفها قعود على أنها: "وجود مستويين في اللغة العربية: مستوى الفصيحة، ومستوى الدراجة أو مقابلاتها مثل العامية واللهجة"[١٢]، كما عرفها (فرجسون) حيث قال: "وضع لغوي ثابت نسبياً يكون فيه بالإضافة إلى لهجات اللغة- التي تشمل لهجة معيارية أو لهجات معيارية إقليمية- نوع من اللهجات مختلف اختلافاً كبيراً عن غيره من الأنواع ومنظم أو مصنف للغاية."[١٣]

وقد تم عمل مجموعة من الدراسات حول موضوع الازدواجية في اللغة، ومنها دراسة محمود عام ١٤٢٢هـ والتي أثبتت أن الازدواجية تعدّ بمثابة إحدى المعوقات التي تعوق تعلم الجيل الناشئ للفصحى، ويرجع السبب في ذلك إلى اتجاههم لتعلم العامية في البداية؛ مما تسبب في جعل الفصحى بمثابة لغة أجنبية يصعب تعلمها، وبالتالي يؤدي ذلك إلى ضعف المستوى اللغوي لدى الطلاب والدارسين، أي أننا يمكننا القول إن الازدواجية ما هي إلا وسيلة لوضع قيود على الفصحى للتحكم بها وتقليص استخدامها في مختلف المجالات.

كما أثبتت الدراسات أن من أهم أسباب انتشار الازدواجية وانتشار تأثيرها على مختلف فئات المجتمع مساهمة الاستعمار، وأعضاء هيئات التدريس في مختلف المراحل التعليمية، وكذلك المجتمع في نشر العامية والحد

من استخدام الفصحى الذي أدى بدوره إلى انخفاض المستوى اللغوي لدى الطلاب في المراحل العمرية المختلفة. [١٤]

وهناك العديد من النماذج والأمثلة الخاصة بواقع الازدواج اللغوي في مختلف الشعوب عبر العصور التاريخية، والذي ما زال قائماً حتى وقتنا الحالي مثل ما يحدث في سويسرا، واليونان، وكذلك في بعض الدول العربية؛ إذ إن الأمم في الوقت الحالي تملك لسانين أحدهما فصيح، والمعروف بشكله وقواعده وقوانينه اللغوية التي قام بوضعها مجموعة من الفلاسفة والكتاب، أما الآخر فهو اللسان العامي أو الشعبي الذي زاد نطاق استخدامه في مختلف شؤون الحياة من تعاملات مادية وتعاملات يومية. [١٥]

وقد تم استخدام الازدواجية اللغوية قديماً في القرنين الأول والثاني الهجريين في مجال كتابة القصص الدينية، وذلك لرغبتهم في كتابة هذه القصص بأسلوب مبسط من المفردات والتعبيرات والمصطلحات بالرغم من قصور ثقافتهم اللغوية.

أما في عصرنا الحديث فقد زادت الإشكالية حول وجود فكرة الازدواج اللغوي خاصة في الدول العربية، حتى زاد الصراع بين أصحاب النظرة المعيارية للمستوى اللغوي بشكله الفصيح والعامي، وكذلك قيام كل فئة بدعم فكرها من خلال الاستعانة بالمبررات لتقليص استخدام اللغة الأخرى، وكذلك تقليص فاعلية الطرف الآخر وتقليل استخدامات لغته في التعاملات اليومية بكافة أشكالها.

"ولو أردنا أن نمثل لمدى تفاعل اللسانين في احتكاكهما اليومي، لقلنا إن العامية تُغني الفصحى بتعابير مادية وتجسيمية، بينما تغتني العامية بالتعابير المجردة أو غير المادية التي تتوافر عادة في الشكل الفصيح للسان ما". [١٦]

وهذا يقودنا لضرب مثال على هذا التفاعل متمثلا في العامية المصرية، ففي أواسط القرن الماضي، ظهر في مصر ما يُسمى باللغة الفصحى العصرية التي

تخلو من أي ألفاظ مبتذلة، إلى جانب اتسامها بالجمع بين لغة الخاصة الذين يستخدمون السجع وبعض الألفاظ الغريبة في لغتهم، ولغة العامة المليئة بالألفاظ المبتذلة، لتنتج لنا لغة فصحى تقترب من اللغة التي نستخدمها في حياتنا اليومية، وكان الهدف من ذلك هو جعل اللغة الفصحى لغة يسهل فهمها من قِبل جميع الفئات، وألا يقتصر استخدامها على فئة بعينها دون الأخرى.

وقد استطاعت الفصحى العامية اقتحام مجال المقالة لتحقق فيه نهضة كبيرة غير مسبوقة في مختلف أشكالها وأنماطها السياسية والاجتماعية والأدبية، وكذلك القصص والمسرحيات.

ثم بدأت العامية تنتشر في أوائل القرن العشرين لتصبح هي اللغة المستخدمة بشكل يومي في البيت والسوق والعمل؛ إذ قامت بإنتاج واستخراج ألفاظها من اللغة الفصحى العصرية، خاصة في المجال السياسي والاجتماعي والشؤون الحياتية الأخرى.[١٧]

وخير مثال على ذلك الأعمال القصصية للأستاذ والكاتب الراحل إبراهيم عبد القادر المازني الذي قام بجمع مجموعة من الألفاظ والمصطلحات في قصصه ومقالاته، مستنبطًا إياها من ألسنة العامة من الناس التي هي جزء من اللغة الفصحى بنسبة كبيرة، فعند قراءتك إياها تعتقد أنها لغة عامية، ولكنها في الحقيقة تمتّ إلى الفصحى بنسب صحيحة.

لقد قامت العامية بعمل العديد من التحريفات والتغييرات في اللغة العربية الفصحى، مثل فقد الجملة لعلامات الإعراب، ومثل عدم اهتمام متحدثي اللغة العامية بالوقوف عند الكلمات التي بها سكون، وغيرها من الأمور المشابهة، وقد بدأت مرحلة إهمال العلامات الإعرابية في العاميات العربية منذ وصول العرب للكثير من البلاد التي لم تكن تعرف الإعراب في لغاتها

الأصلية، فقد بدأ إهمال الإعراب تدريجيًا حتى تم إهماله بشكل كلي، مروراً بعصور متفاوتة وحتى عصرنا الحالي.

ولم يقتصر التحريف في مجال الإعراب وحده فقط؛ بل شمل أيضًا حدوث إبدال في الحروف في الكثير من الكلمات، مثل إبدال الهمزة عينا أو واوا أو هاء، كما في أذن والتي أصبحت عذن، بؤس والتي أصبحت بوس وغيرها من الأمثلة.

كما تم إبدال الباء ميمًا أو فاءً، أو إبدال التاء طاءً، أو إبدال الثاء والجيم والحاء وغيرها من الحروف التي تم إبدالها بحروف أخرى لتتحول اللغة الفصحى إلى لغة عامية.

والعامية المصرية ما هي إلا جزء من العاميات العربية التي تحتاج إلى إزالة العقبات والحواجز بينها وبين الفصحى، من أجل محو الازدواجية في اللغة من استخدام للغة العامية في الحياة اليومية واللغة الفصحى التي يتم استخدامها في الحياة الأدبية وكتاباتها بمختلف مجالاتها، وكذلك في المجالات العلمية. [١٨]

أما عن انتشار العاميات بشكل عام فيعود إلى مجموعة من العوامل هناك مجموعة من العوامل ابتدأت منذ العصور التاريخية القديمة وحتى عصرنا الحالي، فهناك عامل جغرافي يتمثل في اتساع الرقعة الجغرافية لمتحدثي اللغة في مختلف أنحاء العالم، حيث تغيرت اللغة شيئًا فشيئًا بين المجتمعات بسبب[١٩] وجود فواصل طبيعية بينهم مثل الجبال والأنهار وغيرها، والذي أدى بدوره إلى قلة التواصل بين المجتمعات، ومن ثَم انفصال كل مجتمع بلغته العامية الخاصة، ومن ثَم بدأت تظهر مصطلحات جديدة كمصطلح القبيلة أو الدولة، والدخول في مذاهب سياسية مختلفة يتميز كل منها بمجموعة من الألفاظ والمصطلحات الجديدة في اللغة، نتيجة خلق السياسات الجديدة الخاصة بكل قبيلة أو دولة، وهذا ما نسميه العامل السياسي لانتشار العاميات.

كما أدت الظروف الاجتماعية في مختلف المجتمعات إلى تكون ما يُسمى بالطبقات الاجتماعية، مكونة مجموعة من العاميات والتي تتميز بها كل طبقة عن الأخرى. [٢٠]

ولا ننسى في السنوات الماضية غزو العاميات المجال الإعلامي بمختلف أقسامه، فإذا تابعنا البرامج الثقافية الإذاعية العربية نجد أن اللغة الإعلامية أصبحت تستعين بالعاميات في موادها، وهذا بدوره أثر في اللغة الفصحى التي تراجعت في نسبة استخدامها في هذا المجال، فيما عدا القنوات الإخبارية التي لا زالت تحتفظ باللغة العربية الفصحى كلغتها الإعلامية.

وهناك مجموعة من الأسباب والعوامل حول غزو العاميات لمجال الإعلام بهذه الصورة، ومن أهم هذه الأسباب تغير طبيعة الوسائل الإعلامية، فعلى سبيل المثال، إذا نظرنا إلى الراديو نجد أنه وسيلة إعلامية موجهة إلى جمهور بمختلف شرائحه من أميين وأشباه أميين، سواء على المستوى الأبجدي أو الثقافي أو المعرفي؛ لذا بدأ اللجوء إلى العامية في لغة الراديو حتى تستطيع جميع الفئات فهم محتواه الإعلامي بشكل سلس وسهل.

كما تم استخدام العامية في الكثير من الإذاعات العربية، وذلك من أجل استقطاب الكثير من المستمعين، وبشكل خاص في بعض الدول التي ترغب في تعميم لهجتها في مختلف البلدان العربية، فهذه الدول ترى أن هذا العصر هو بمثابة تطور ومحاكاة للأمم السابقة؛ لذا أصبحت تتجه بصورة أكبر إلى العامية من أجل الابتعاد عن الفصحى وتعقيداتها. [٢١]

يمكننا القول إن الفضائيات العربية اتجهت إلى نشر العامية في مختلف البرامج الناطقة بالعربية، سواء على مستوى البرامج الاجتماعية، أو السياسية، وكذلك في الدراما العربية التي أصبحت كلها بلا استثناء تتحدث بالعامية. وقد أدى انتشار العاميات إلى صعوبة عملية التواصل بين الشعوب العربية، وكذلك تقليل فرص التفاهم فيما بينها، وهو أمر مخالف لدور وسائل

الإعلام الرئيسي في توحيد الشعوب العربية، وتعزيز تواصلها، ودمج الشعوب الناطقة بالعربية، وكذلك العمل على صياغتها لإنشاء وحدة قومية واحدة، ومن ثَم الحفاظ على هوية الأمة والعمل على وحدتها، وكذلك تعزيز عملية التواصل بين الشعوب. [٢٢]

فعلى سبيل المثال: إذا نظرنا في الإعلام اللبناني نجد أن استخدام العامية في لبنان قد خرج عن إطار العفوية حيث أصبح بمثابة مبدأ تريد وسائل الإعلام اللبنانية ترسيخه، ويقول حاطوم ٢٠٠٥: "ليس من الضروري أن تكون باحثاً لغوياً، راصداً لوقائع الضاد على أرض الكلام، لتدرك أن السنوات الأخيرة قد شهدت تمدداً للعامية جاوزت به مقاماتها الطبيعية.. إلى مقامات للفصحى... وقد برزت هذه الظاهرة في لبنان- أو هذا ما أفضت إليه معاينة للظاهرة أتيحت لنا فيه، ولم يتح لنا ما يماثلها في سواه من الأقطار العربية". [٢٣]

كما يمكننا أن نجد أيضًا حملة أخرى في دول المغرب تدعو إلى استخدام العامية في مختلف وسائل الإعلام والاتصال، خاصة العاميات المحلية، باعتبارها الأساس في تشكيل الهوية وكذلك الجانب الثقافي والحضاري للمجتمعات العربية، أي أن ظاهرة العامية في الإعلام أصبحت مقتحمة لمختلف المجالات في الفضائيات الإعلامية في شتى المجالات وعلى كافة الأصعدة في مختلف البرامج التي تبنت المقام العامي عن المقام الفصيح سواء في بعض النشرات الإخبارية أو البرامج الترفيهية أو السياسية، من أجل التحرر من قيود اللغة الفصحى التي تجاوزت اللغة العربية لتصل إلى اللغات الأخرى أيضًا في العالم. [٢٤]

إلا أن لانتشار العاميات في وسائل الإعلام آثار سلبية؛ فقد كان للأغاني والمسلسلات دور كبير وفعال في المساهمة في نشر العامية في وسائل الإعلام المختلفة، وكذلك الشعر النبطي والمسلسلات الإذاعية، والذي يعدّ بدوره إساءة كبرى إلى لغتنا العربية الفصحى التي تُشكل العامل الأساسي لربط

ووحدة الدول العربية، وها نحن نرى الآن الدعوة التي تقودها العديد من البلدان من أجل الحفاظ على لغاتها الأم أمام هيمنة اللغة الإنجليزية.[٢٥]

كما أننا لا يمكن أن نتغافل عن دور وسائل الإعلام في الحفاظ على اللغة وهويتها، وفي حال اتجاه الإعلام إلى استخدام اللغة العامية والبعد عن استخدام الفصحى؛ فإن ذلك يعدّ بمثابة خطرا كبيرا في عملية تشكيل الوعي اللغوي العربي والذي هو قائم على أساس هوية اللغة العربية الفصحى، فاللغة الفصحى هي بمثابة عنصر تثقيف هام للمشاهد العربي العادي، كما أنها تُشكل جزءًا لا يتجزأ من الهوية الثقافية والدينية عند العرب. [٢٦]

لذا ظهرت فئة تطالب بضرورة إحياء الفصحى واستخدامها مرة أخرى في مختلف الوسائل الإعلامية؛ فاللغة الفصحى هي بمثابة تشكيل للهوية الوطنية أو القومية التي تقوم بتشكيلها النخب الفكرية والمثقفة؛ فاستخدام الراديو للغة الفصحى يحقق اقترانًا بينها وبين العامة، ومن ثَم ترسيخها داخل عقولهم وإحلالها مكان العاميات، بالإضافة إلى الدور التي تلعبه الفصحى في تنمية الحس الذوقي والجمالي للغة، أو ما يُسمى بـ "تربية الذوق اللغوي"، إلى جانب أهمية الفصحى في حماية المجتمعات ضد أي عوامل تجزئة قومية ووطنية. [٢٧]

ويقول المجري عبد الكريم جرمانوس: "إن للمسلمين كتابهم الكريم باللغة العربية هو القرآن، تلك المعجزة الرائعة التي لا يستطيع أي إنسان مباراتها، وقد وضعت قواعد النحو وحددته تحديدا أزليا، فلو استطاع المسلمون بناء مدارس في جميع المدن والقرى، ولو عمموا اللغة الفصحى لانبثقت عبقرية القرويين بالإعجاب".[٢٨]

ومن هنا بدأت الدعوة إلى ضرورة سيطرة الفصحى على البرامج الإذاعية بشكل عام وخاصة البرامج الثقافية؛ فالفصحى تمتلك رصيدًا صعبًا من الألفاظ والمعاني التي يصعب على العامية امتلاكه. ولكن لكي يتم ذلك علينا البدء

بتعميم أبسط درجات الفصحى في الوسائل الإعلامية كخطوة أولى لاستخدام اللفظ الفصيح والتركيبة اللغوية التقليدية السليمة، من أجل الحفاظ على هوية اللغة، ومن ثَم الحفاظ على هوية المجتمعات العربية بأكملها. [٢٩]

وبالرغم مما تم ذكره حول ما يمكن أن تؤثر عليه العاميات بشكل سلبي على المجتمعات وهويتها، لكننا لا يمكننا التغافل عن مميزات العاميات التي جعلها تنتشر بهذا النحو الكبير بين فئات المجتمعات المختلفة، حتى أصبحت لغة الاقتصاد الأولى في العالم، ويرجع السبب في ذلك إلى كونها لهجة حية ومتطورة تتغير دائماً نحو الأفضل، وذلك بفضل خلوها من الإعراب، كما أن الاقتصاد في هذه اللغة هو جوهر البلاغة الأساسي الخاص بها، إلى جانب تمتعها بدرجة عالية من المرونة التي تجعلها تستطيع إهمال ما يجب إهماله، وكذلك اقتباس الألفاظ التي يجب اكتسابها في كل زمان ومكان، كما أن العامية تعدّ هي لغة الحياة، وذلك لكونها معبرة عما يدور بالحياة بحلاوتها وقساوتها. [٣٠]

وفي نهاية هذا المبحث فإن قضية القضاء على العربية الفصحى أو اللهجات العامية ليست بجديدة، وعلى الرغم من كل قيل وسيقال، لن يستطيع دعاة العربية الفصحى القضاء على اللهجات العامية ولا دعاة اللهجات العامية القضاء على اللغة الفصحى، فجميع المحاولات التي قام بها أنصار كل فريق باءت بالفشل لأنها أشبه ما تكون محاولة تغيير للظواهر الطبيعة.

إن الطبيعة تفرض وجود طبقات مختلفة ومتنوعة في كل مجتمع من المجتمعات البشرية تتناول اللغة بطريقة معينة، ولا يمكن لأحد فرض لغة معينة على الناس؛ لذلك يتوجب علينا التوقف عن مواصلة تلك المحاولات الفاشلة التي تنادي للإقصاء وتجعل من طبيعة الاختلاف سببا للهجر والقطيعة، ويجب أن نبدأ العمل نحو خلق البيئة المناسبة التي يمكن للعاميات أن تعيش بسلام ووئام جنبا إلى جنب مع العربية الفصحى. يجب علينا أن نخلق جو التعايش

بين الفصحى واللهجات العامية بدلا من إضاعة الوقت في محاولة إقصاء إحداهما على حساب الأخرى.[٣١]

المبحث الثاني

المدارس النحوية

تعدّ المدارس النحوية الأساس في بناء ووضع قواعد اللغة العربية؛ إذ قامت كل مدرسة ببذل الكثير من الجهود من أجل وضع أصول النحو وقواعده التي ما زالت حية إلى هذا اليوم.[٣٢] ولكي نتمكن من فهم نشأة مصطلح المدارس النحوية علينا أولاً فهم مناهج النحويين، واختلاف آرائهم في الأصول والفروع، بهدف الوصول إلى تمييز الاختلاف بين المذاهب والمدارس المختلفة.[٣٣]

قديماً، أطلق القدماء كلمة مذهب على مسائل الخلاف الخاصة بالنحو القديم، كقولهم: مذهب البصريين، أو مذهب الكوفيين، أو مذهب البغداديين، وكذلك مذهب الأخفش، والفراء، وسيبويه، وغيرها من المذاهب. أما في العصر الحديث، فقد وجد المعاصرون أن اختيار لفظ المدرسة هو الأفضل في الاستخدام في مسألة الخلاف النحوي، مثل قولهم: المدرسة البصرية، أو المدرسة الكوفية، وهكذا...

وقد أشار الباحثون في تاريخ النحو والنحاة إلى أنه ليس هناك أي خلاف حول أصول علم النحو والتراث النحوي، ولكن الخلاف بين المذاهب أو المدارس النحوية يكمن في مسائل فرعية متعلقة بالتعليل والتأويل، حيث كان لكل مدرسة طريقتها الخاصة التي تعبر عنها في مذهبها في مدرستها النحوية.[٣٤]

وكما ذكرنا لقد شاع استخدام تعبير المدارس النحوية في العصر الحديث في مجال دراسة تاريخ النحو العربي؛ وقد انقسمت هذه المدارس إلى مدرسة البصرة، مدرسة الكوفة، ثم توسع بعضهم لجعل المدارس خمسة وهم:

مدرسة بغداد، مدرسة مصر، مدرسة الأندلس، مدرسة القيروان، والمدرسة الإفريقية.[٣٥]

مدرسة البصرة:

هناك الكثير من الأقاويل حول نشأة النحو العربي، ولكن اتفق الكثيرون على أن مدينة البصرة هي منشأ النحو العربي،[٣٦] فقد قال الجمحي: "وكان لأهل البصرة في العربية قدمه، وبالنحو ولغات العرب عناية".[٣٧]

ويعدّ الخليل بن أحمد الفراهيدي المؤسس الحقيقي لمدرسة البصرة النحوية، وعلم النحو العربي بمفهومه ومعناه الدقيق؛ إذ إنه عمل على وضع القواعد النحوية، وكل ما تشتمل عليه من نظرية العوامل والمعمولات، وكذلك كل ما يسنده من سماع وتعليل وقياس، مع إظهار أسرار العربية وخصائصها التركيبية.

ثم جاء من بعده تلميذه سيبويه الذي قام بتقديم العديد من الآراء النحوية التي تمثل آراء أكثر من رائعة، وقد كان سيبويه نابغة من نوابغ النحويين، لذا أطلق على كتابه "قرآن النحو"، وذلك لقيامه بتسجيل مختلف الظواهر الخاصة بالتعبير العربي، وإتقانها على المستوى الفقهي والعلمي والتحليلي، إلى جانب تسجيله لأصول النحو وقواعده تسجيلا كاملًا تامًا في مؤلفِه "الكتاب"، ثم جاء بعد ذلك الأخفش الأوسط وهو تلميذ سيبويه وقام بتعليم كتاب سيبويه إلى تلامذته البصريين ومنهم المازني. [٣٨]

"وقد تميز نحاة البصرة بجعل القواعد مطردة عامة، وأيضاً اشتراطهم في الاستواء صحة المادة التي يشتقون منها قواعدهم، فكانوا يجمعون من البوادي من أعماق نجد وبوادي الحجاز وتهامة، ومن القبائل المحتفظة بملكة اللغة وسليقتها الصحيحة مما لم تفسد الحضارة لسانها، وكانوا لا يحتجون بالحديث النبوي لاحتمال روايته بالمعنى من الأعاجم، وتابعهم في هذا نحاة الكوفة."[٣٩]

وتتميز المدرسة البصرية بأنها مدرسة عقلية؛ إذ إنها تنظر إلى اللغة كأداة للتواصل والاتصال، كما أنها ترى أن اللغة تتميز بأن لها عمق يجب إدراكه ومعرفته عند التعامل معها، ويرجع السبب في هذه النظرة إلى البيئة التي وُجدت بها مدينة البصرة، والتي كانت بمثابة ميناء العراق على الخليج؛ أي أنها كانت على صلة وثيقة بالتيارات الثقافية القديمة مثل الفارسية والهندية واليونانية.

وكانت مدرسة البصرة قد اشتهرت بتقديم الكثير في مجال التأليف النحوي مقارنة بمدرسة الكوفة؛ فعلى سبيل المثال نجد أن كتاب سيبويه تناول النحو العربي بأكمله بمختلف ظواهره وتعبيراته.

كما يجب الإشارة إلى قيام مدرسة البصرة بتحديد المادة اللغوية الخاصة بمنهجها على مستوى الزمان والمكان، والتي تم استخدامها لاستنباط قوانين لغتها، فلعلنا نجد رفض نحاة البصرة لغة الحضر حتى منتصف القرن الثاني، وكذلك عدم قبولهم للغة البادية حتى نهاية القرن الرابع، وكان الهدف من ذلك هو الارتقاء باللغة من خلال الاقتصار على اللغة النقية التي لم يشبها أي اختلاط.

كما قام نحاة المدرسة البصرية باستخدام القياس اللغوي، أو بمعنى آخر الاستقراء في اللغة الذي يعدّ سمة عامة لهذه المدرسة، وقد تم استخدامه من أجل استخلاص القواعد النحوية منه وكذلك طرح النادر والتعليل.

وكذلك لا يمكننا أن نغفل دور نحاة البصرة في وضع الدعامة الفكرية الأساسية للنحو العربي التي تتمثل في نظرية العامل النحوي الذي يعدّ بمثابة أداة هامة في عملية التفسير اللغوي، والذي أدى بدوره إلى وضع تفرعات منهجية أساسية مثل التأويل والتقرير. [٤٠]

ويرى السيوطي أن ما جعل البصريين أصح قياساً هو عدم التفاتهم إلى كل ما هو مسموع، كما أنهم لا يقيسون على الشاذ. [٤١]

أما بالنسبة لمصادر الدراسة عند البصريين فهي كالتالي:

- **المصدر الأول : القرآن الكريم وقراءاته :** فقد قام النحاة بالاعتماد على نصه لأنه هو النص الوحيد الذي يستطيع الدارس الاطمئنان إلى صحته لما يتميز به من صحة وبلاغة [٤٢] ، لذا قام النحاة البصريون باستنباط مجموعة من القواعد النحوية وتطبيقها؛ وذلك من خلال الاستشهاد بآيات القرآن الكريم، كما استفادوا منه في مناظراتهم ومحاوراتهم اللغوية والنحوية؛ لذا يقول سيبويه إن القرآن الكريم هو المصدر المهم لاستنباط القواعد اللغوية ودعمها. [٤٣]
- **المصدر الثاني : السماع والأخذ عن الأعراب الفصحاء :** فقد حرص نحاة البصرة الأوائل على خلو اللغة من أي تأثيرات خارجية، وذلك من خلال وضع ضوابط دقيقة في المادة اللغوية التي استخدموها لبناء قواعدهم اللغوية، ويرجع السبب في ذلك إلى رغبتهم في الحفاظ على خصائص اللغة العربية المعروفة عند نزول القرآن الكريم لتجنب إحلالها بلغة ثانية مغايرة لها، وكذلك للحفاظ على اللغة من دخول أي ألفاظ أعجمية إليها والتي من شأنها التأثير على خصائصها وعروبتها، وبناءً على ما سبق، قام النحاة البصريون بتحديد القبائل التي تؤخذ عنها اللغة من أجل التأكد من سلامة لغة المحتج بهم . [٤٤]

كما قام البصريون باعتماد الشعر الجاهلي كأحد أصولهم، كما تجاوزوه إلى الشعر الإسلامي مثل شعر الفرزدق وجرير ورؤبة، بالإضافة إلى اعتمادهم لغة التنزيل، ولكنهم ضيقوا في هذا بشدة؛ إذ إنهم لم يأخذوا بالعديد من القراءات بالرغم من أنها من العربية، ولها أساس في لغات العرب، فعلى سبيل المثال: في قوله تعالى: "وكذلك زُين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركائهم"، يقوم عبد الله بن عامر وهو مقرئ أهل الشام بقراءة

هذه الآية بنصب أولادهم وجر شركائهم، ويرى البصريون أن هذا خطأ؛ إذ إنهم يمنعون الفصل بين المضاف والمضاف إليه في غير ضرورة الشعر. [٤٥]

- **المصدر الثالث : القياس :** حيث كان البصريون يقومون بالقياس على لسان العرب الأول وليس لغة قُطر معين، أي أنهم كانوا يقيسون على لغات قبائل معينة تتمتع بالفصاحة [٤٦] ، ويقول عبد الرحمن السيد في ذلك: "صح قياس البصريين، بل كان أصح الأقيسة، كما كانت شواهدهم أصح الشواهد، ذلك أنهم جعلوا السماع الصحيح أساس القياس عندهم. فإذا وافق القياس السماع الصحيح كان ذلك الغاية عندهم التي ليس فوقها غاية، وإذا خالف السماع الكثير القياس رجحوا جانب السماع على جانب القياس؛ إذ لا خير في قياس لا يؤيده سماع." [٤٧]

مدرسة الكوفة :

إذا قمنا بالبحث في كتب التاريخ والتراث العربي فإننا سنجد أن البصريين أول من قاموا بوضع القواعد النحوية، ثم جاء من بعدهم الكوفيون بعد فترة من الزمن، ليقوموا بعمل دراسة للنحو؛ إذ انصرفوا إلى رواية القرآن الكريم والسنة النبوية والفقه والفتاوى والقراءات ورواية الشعر. ولقد برز لدى مدرسة الكوفة عدد كبير من العلماء الذين اهتموا بدراسة هذا المجال، ومن أشهرهم: الكسائي، وهو مؤسسها، والرؤاسي والفراء.

فقد أشار القدماء مثل ابن النديم في كتابه "الفهرست" والزبيدي في كتابه "طبقات النحويين" وغيرهم إلى تميز نحاة الكوفة بانفرادهم بالعديد من الآراء النحوية التي أدت إلى تشكيل مذهب خاص.[٤٨]

وإذا قمنا بالاطلاع على كتب القدماء للبحث حول البداية الحقيقية لهذه المدرسة؛ نجد أنها بدأت بالكسائي وتلميذه الفراء، وقد قال د. شوقي ضيف في هذا الأمر: "إنما يبدأ النحو الكوفي بدءًا حقيقيًا، بالكسائي وتلميذه الفراء،

فهما اللذان رسما صورة هذا النحو، ووضعا أسسه وأصوله، وأعداه بحذقهما، وفطنتهما، لتكون له خواصه التي يستقل بها عن النحو البصري، مرتبين لمقدماته، ومدققين في قواعده، ومتخذين له الأسباب التي ترفع بنيانه."[٤٩]

لقد تم تأسيس مدرسة الكوفة بعد تأسيس مدرسة البصرة بما يقرب من مائة عام؛ أي أنها تعدّ حديثة العهد مقارنة بمدرسة البصرة.[٥٠]

تتميز هذه المدرسة باحترامها لجميع ما جاء عن العرب؛ لذلك أجازوا استخدامه، حتى وإن كان مخالفًا للقاعدة، كما أنهم أسسوا قواعد نحوية من الشذوذ[٥١]، فكما قال السيوطي: "كان الكسائي يسمع الشاذ الذي لا يجوز إلا في الضرورة فيجعله أصلًا ويقيس عليه."[٥٢]

كما تتميز هذه المدرسة باتساع دائرة المسموع؛ إذ إنهم أخذوا من الأعراب الذين استوطنوا الكوفة وبغداد وكذلك فصحاء الأعراب[٥٣]، كما أنها توسعت في القياس بعد قيامهم بتحرير السماع واعتمادهم من الشعر والقراءات وقول العرب أساسا من أجل استقراء قاعدة عامة، كما أنهم قاموا بوضعه دون سند مسموع كقياسهم العطف باستخدام "لكن" في الإيجاب بدلًا من استخدام "بل"، ولكن على الجانب الآخر نجد أن الكوفيين قاموا برفض بعض القواعد الأخرى المبنية على السماع، مثل رفضهم عمل صيغة المبالغة، وعمل "إن" المخففة من الثقيلة وغيرهم[٥٤]؛ لذا اُعتبر الكوفيون أكثر قياسًا وأوسع استعمالا له، وذلك لقياسهم على الصحيح الفصيح الكثير وكذلك القليل النادر، بالإضافة إلى تميزهم بعدم تمسكهم بما انتهوا إليه دلالة على توسعهم في جمع اللغة العربية، وكذلك تسامحهم في الاستشهاد بها. [٥٥]

كما قام الكوفيون بوضع مصطلحات خاصة بمنهجهم من أجل التسهيل والتوضيح وكذلك للمخالفة في بعض الأحيان، فهناك مصطلحات قام البصريون بوضعها وكانت تسميتها موفقة[٥٦]، فعلى سبيل المثال: قام الكوفيون

بتسمية التمييز تفسيرًا، والصفة نعتًا، والمضارع والأمر مستقبلًا، والعطف نسقًا، والنفي جحدًا، وغيرها من المصطلحات، أي أنهم قاموا بعكس ألقاب الإعراب والبناء. أما بالنسبة للمصطلحات التي لم يكن هناك ما يقابلها عند البصريين فهي: تطبيقهم العامل المعنوي في نصف المفعول معه، والظرف الواقع خبرًا والفعل المضارع المنصوب بعد الواو أو الفاء والذي يسبقه نفي أو طلب.[٥٧]

ومما سبق يمكننا أن نقول: إن أهم ما يميز منهج الكوفة هو وضوحه في التوسع، وذلك بأخذه ما قاله العرب في الشعر والنثر، بالإضافة إلى توسعه في رواية الأشعار وقبوله عند جميع العرب بدوهم وحضرهم. [٥٨]

مصادر الدراسة عند الكوفيين فهي كالتالي :

تعدّ المصادر التي استند إليها الكوفيون في دراستهم قليلة؛ وذلك بسبب عدم وصول الكثير منها إلينا، ويعدّ كتاب معاني القرآن للفراء المصدر الأوفى والمرجع الباقي الموثق لنحو الكوفيين؛ إذ يمتاز هذا الكتاب بضمه لآراء الكوفيين التي اعتمدت على دراسة القرآن الكريم من حيث التراكيب والإعراب، بالإضافة إلى الشرح والتفصيل، إلى جانب احتوائه على تفانين أخرى غير الجانب النحوي. [٥٩]

لقد قام الفراء في كتابه المعاني بالتحدث عن المصطلحات النحوية الكوفية، وكذلك صياغة مسائله النحوية، ووضع قواعدها وضوابطها؛ مما جعل المصطلح الكوفي له دلالته الخاصة ومفهومه، أو بمعنى آخر جعل المدرسة الكوفية تنفرد بمصطلحاتها النحوية من خلال هذا الكتاب.[٦٠]

"والمعاني لا يعدّ كتاب نحو يتناول بالمعنى المتعارف لهذا العلم مبوبًا محدد المسائل والمعالم، فما هو إلا دراسة لغوية للقرآن الكريم يعني بما يشكل منه لغة وإعرابًا، واحتجاجًا لقراءاته، وبالدراسة العامة لأسلوبه ومعانيه." [٦١]

أما بالنسبة للمصادر الأخرى التي استند إليها علماء مدرسة الكوفة فهي تتمثل في تدبرهم للقرآن الكريم، والحديث النبوي، وكتب الفقه، من أجل النهضة بالدراسات النحوية،[٦٢]كما قام الكوفيون بالأخذ من المسموع من النصوص العربية، وذلك للحفاظ على فصاحة النص وعدم إهداره.[٦٣]

خلاف بين البصرة والكوفة أم اختلاف :

لقد نشأ النحو في العراق بين الكوفة والبصرة، وظهر الخلاف في هذه البيئة النحوية على يد كل من سيبويه والكسائي في بغداد، ثم بدأت معالمه بالوضوح أكثر بين المبرد وثعلب، ثم اشتد إلى درجة التعصب لنحاة البلدين بين تلاميذ كل مدرسة. [٦٤] وعلينا أن نعلم أن النحو هو شيء واحد سواء درسه البصريون أو الكوفيون؛ إذ يكمن الخلاف بين المدرستين في الفروع لا الأصول التي كانت لغة قبائل الجزيرة العربية أو بعضها سبباً في وضعها وذلك بالسماع عنها.

لقد طال الخلاف بين كل من المدرستين في جميع أبواب النحو العربي، ومن هنا نشأت كثرة المسائل التي دار فيها الخلاف، حتى إنه وصل إلى الحد الذي جعل من النحو كله خلافا سواء أكان في أبواب النحو عامة أم في مسائله الفرعية التي تندرج تحت هذه الأبواب. [٦٥]

ولعل من أوجه الخلاف بين كل من المدرسة البصرية والمدرسة الكوفية ما يلي:

- **السماع :** لقد اشترك كل من البصريين والكوفيين من الأخذ عن قبائل أسد، وتميم، وقيس، وكنانة، وهذيل، وطيئ وغيرهم من القبائل، لكن توسع الكوفيون في السماع حيث إنهم قاموا بالسماع من قبائل أخرى مختلفة عن تلك التي قام البصريون بالسماع منها مثل بني حنيفة، وبني كلب، والحطيمة، وحوران، وحضر موت.

أي أن الكوفيين توسعوا في الأخذ عن القبائل العربية، أما البصريون فقد ضيقوا ذلك، أي أن المعيار الجغرافي هو الأساس الذي تم اعتماده في الأخذ

عن تلك القبائل؛ إذ إنه كلما ابتعدت القبائل عن الأمم المجاورة كانت أكثر فصاحة من تلك التي تجاور وتختلط بأمم أخرى.[٦٦] فعلى سبيل المثال؛ اختلف الكوفيون مع البصريين في ضمير الشأن؛ إذ يقوم البصريون بتفسيره بجملة، كما أنه إذا بدا لهم نص فصيح مخالف للأصل، قاموا بتأويله حتى يتسنى لهم القياس. أما بالنسبة للكوفيين؛ فقد أجازوا تفسيره بالمفرد، اعتماداً على ما سمعوه عن بعض العرب، أي أننا يمكننا القول إن الكوفيين هم أكثر احتراماً لما ورد عن العرب من لهجات القبائل العربية، فهم لم يهملوا منها أي شيء، ويرجع السبب في ذلك إلى رؤيتهم لكل لهجة وكأنها حقل لغوي لا يصح هدره. بينما كان البصريون أشد تضييقًا في عملية السماع، وكذلك في تمسكهم بالأصل في القواعد النحوية.[٦٧]

ولا يعني هذا الأمر التقليل من شأن مدرسة ورفع أخرى؛ وإنما الأمرُ كلما اتسع كانت هناك فائدة أكبر.

- **مصدر المادة اللغوية :** لقد اختلف كل من نحاة المدرسة الكوفية والبصرية حول المادة المعتمدة في بناء العربية، وذلك لاتساع الرقعة المكانية التي تتحدث العربية، كما اختلفوا حول تطور المادة اللغوية؛ وذلك لتغافلهم عن العامل الزماني، والذي كان بمثابة أحد أهم أسباب الخلاف بينهم، والعامل الرئيسي في التشعيب في أحكام اللغة وقواعدها، ويرجع السبب في ذلك إلى تغيير الكثير من ألفاظ اللغة وظواهرها النحوية في الفترة التي سبقت استقراء المادة اللغوية، مثل التغيير الذي تم عمله للأسماء والأفعال وأسماء الأصوات وغيرهم.
- **مناهج النحويين :** لقد اختلف علماء كل من المدرستين حول ما يتعلق بالعامل وما يتعلق به من تعليل، ويعدّ ذلك طبيعياً في المسألة الخلافية بين المدرستين، فقد أصبح كل من نحاة المدرستين يقومون بدراسة الظواهر اللغوية إلى ما يشبه المنطق وفهم ووصف ما يتم رصده، وكذلك تعليل هذه

الظواهر وفهم أساليبها وتطورها؛ لذا كان من الطبيعي أن تختلف وتتفاوت أنظار نحاة المدرستين، وتختلف معاييرهم وعللهم وتأويلاتهم.

ولكن في النهاية، بعد الاطلاع على أوجه الخلاف بين المدرستين نجد أنه لا داعي لقول إن مثل هذه النقاط هي أوجه خلاف وتعصب وتشدد بين المدرستين؛ إذ تتمثل أوجه الخلاف حول[٦٨] جوانب فرعية وليست أساسية في الدراسات النحوية، كما أن وجود هذا الخلاف أدى إلى المبالغة في الصناعة، وتضخم كتب النحو، وعدم الأخذ بالقراءات، والتحامل على فريق لصالح فريق آخر، وكذلك تغيير بعض المصطلحات. ولكن في النهاية علينا ألا ننسى أن كلا من المدرستين كان يعمل من أجل إكمال صرح النحو والصرف، وتيسير النحو وقواعده، وكذلك زيادة بعض التراكيب والأدوات والوجوه الإعرابية، إلى جانب تدريب الطلاب على احترام اختلاف وجهات النظر. [٦٩]

المبحث الثالث

القراءات القرآنية

للدرس اللغوي واختلاف القراءات والصيغ شأن هام في اللغة العربية؛ لذا اهتم الكثير من علماء اللغة بعمل بحوث حول هذا الأمر قديمًا وحديثًا، ومن أهم النماذج التي اهتم بها علماء اللغة دراسة اختلافات القراءات القرآنية، وكذلك اختلاف الصيغ في القرآن الكريم، وذلك لإدراكهم مدى أهميتها وتأثيرها في اختلاف الدلالة في اللغة، وفي هذا المبحث سأتناول مجموعة من النماذج حول بعض الاختلافات التي تعكس لنا أوجه التعصب بين علماء اللغة والنحاة في اللغة العربية. [٧٠]

تعدد اللهجات وتعدد الأوجه الإعرابية:

تعدّ اللهجات العربية واحدة من المصادر الهامة والغنية للبحث في مجال تاريخ اللغة العربية؛ وذلك بفضل كونها ممثِلة للواقع اللغوي المعروف

والمستخدَم من قِبل القبائل العربية قديمًا، أي أنها بمثابة مراحل تاريخية من عمر اللغة.

كما ساهمت دراسة اللهجات في مجال الدرس اللغوي، وذلك من أجل فهم تركيب الجمل العربية، وتخليص النحو من التعليل والخلاف والتأويل، والبحث حول ظاهرة التعدد في أوجه الإعراب وأثر اللهجة في تعدد الآراء والأوجه الإعرابية.

فعلى سبيل المثال: نجد أن هناك خلافا حول مسألة إعمال (ما) النافية عمل (ليس) وفقًا للغة الحجازيين، أما بنو تميم فكانوا يقومون بجرها مجرى (أما) و(هل)؛ فهم يرون أنها ليست مثل (ما) أو (ليس).

ويرى البعض أن سبب الخلاف بين (ما) الحجازية و (ما) التميمية هو كون الأولى أحدث عهداً من الثانية، ويرجع السبب في ذلك إلى خضوع اللغة لقانون التطور.

كما وردت هذه اللهجة في القرآن الكريم[٧١] في قوله تعالى: (ما هذا بشراً)[٧٢]، و(ما هن أمهاتهم)[٧٣]، و(فما منكم من أحد عنه حاجزين)[٧٤]، وكذلك قرئ قوله تعالى: (ما هذا بشر)، بالرفع على لهجة بني تميم.

وبالنسبة لأمر إلحاق الفعل علامة التثنية أو الجمع "فقد اتجه جمهور النحاة إلى أنه إذا تم إسناد الفعل إلى اسم ظاهر مثنى أو مجموع وجب تجريده من علامة تدل على التثنية أو الجمع، كما في قام أخواك، وقام إخوتك، وقام نسوتك."

أما بالنسبة لمجموعة أخرى من النحويين التي تنتمي إلى مجموعة قبائل يمنية مثل طيئ وشنوءة وبلحارث بن كعب؛ فقد رأوا أن الفعل يجب أن يلتحق به علامات تثنية أو جمع عندما يُسند إلى اسم ظاهر مثنى أو جمع كما في: ضربوني قومك، وضربنني نسوتك. وقد قام النحويون بإطلاق اسم "أكلوني البراغيث"[٧٥] أو "يتعاقبون فيهم الملائكة" على هذه الظاهرة[٧٦].

ومن شواهد هذه اللغة أيضاً قول الشاعر:

نصروك قومي فاعتززت بنصرهم ولـو أنهـم خـذلوك كنـت ذلـيلا [٧٧]

فقد رفض جمهور النحويين الشواهد المتقدمة، ثم قاموا بتأويلها لجعلها توافق قواعدهم وهذا يعدّ تعسفاً وتعصباً من قِبلهم في هذا الأمر، ويرجع السبب في هذا الأمر إلى الخلط بين اللغة العربية الفصحى واللهجات الأخرى، وكذلك المزج بين مستويات الأداء اللغوي في كل منهما؛ إذ إنهم يصفون هذه اللغة بالضعف وعدم الفصاحة، بالرغم من ورودها في بعض آيات القرآن الكريم في الآيتين الكريمتين: ﴿فَعَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ﴾ [٧٨]، ﴿وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَىٰ﴾ [٧٩].

وبالنسبة لخبر (لا) النافية للجنس، والتي تعدّ أقدم أدوات النفي في اللغة العربية، وتستخدم بهدف توكيد النفي، فقد قام النحاة بوضع مجموعة من الشروط لإعمالها عمل "إن" وهي: أن تكون نافية، وأن يكون المنفي بها الجنس، وكذلك أن يكون النفي نفي نص، ولا يوجد جار مدخول عليها، بالإضافة إلى كون اسمها نكرة متصل بها وكذلك خبرها، كما في المثال: لا طالب علم خاسر. [٨٠]

أما عند الحجازيين وبني تميم وطيئ؛ يقوم النحاة بحذف الخبر في حال أن يدل عليه دليل، فعلى سبيل المثال: عند سؤال هل من رجل في الدار؟ فإن الإجابة عند الحجازيين وبني تميم وطيئ: لا رجل، أو لا رجل في الدار. [٨١]

وفي مثال آخر: قول حاتم الطائي:

"إذا اللقـاح غـدت ملقـى أصـرتها ولا كريم من الولدان مصبوح". [٨٢]

هنا يرى سيبويه ومتبعيه من النحاة أن قوله "مصبوح" خبر لا مثله مثل الحجازيين، أما فريق آخر من النحاة كالأعلم الشنتمري وأبوعلي الفارسي

والزمخشري أجازوا أن يكون إعراب "مصبوح" نعت لاسم "لا" لاعتقادهم أن الخبر محذوف مثلهم مثل بني تميم.[٨٣]

الخلافات النحوية حول البعد الدلالي في إعراب آيات القرآن الكريم:

يعدّ المعنى أساس الدراسات اللغوية، ويعدّ الإعراب أحد فروعه؛ إذ إن الإعراب هو بمثابة أداة لكشف المعنى وإدراكه في النص.

ولقد نشأ خلاف بين المدارس النحوية حول بعض القواعد النحوية، كالاختلاف في إعراب النصوص، كجواز تقديم الفاعل على فعله عند الكوفيين، ولكنه لا يجوز عند البصريين؛ لذا كان يظهر عندهم خمسة أوجه أو أكثر للكلمة الواحدة في البيت الشعري، أو الآية القرآنية.

أولاً: الفاعل: يقول الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴾[٨٤]، وكذلك قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴾.[٨٥]

يقول بعض المفسرين: "إن فاعل الفعل "يهد" هو "كم" وما بعدها، وفقاً لما تم فهمه من المعنى العام للآيتين لتفسير القرطبي والطبري، وكذلك اختلف النحاة في مسألة تعيين فاعل الفعل "يهد"؛ والسبب في ذلك هو وجود قاعدتين نحويتين مختلفتين حول هذا الأمر وهما: القاعدة الأولى[٨٦] التي تقول إن "كم" لها صدارة الكلام؛ لذا لا يعمل فيها من قبلها، أما القاعدة الثانية فتقول إن الفاعل لا يمكنه أن يقوم بتكوين جملة، وذلك وفقًا لقسرية القواعد النحوية، وليس محاولة الوصول إلى معنى الآية".[٨٧]

وهنا يُقال ثلاثة آراء مختلفة للنحاة وهي: أن مصدر الفعل مضمر، أو أن الفاعل مضمر، أو أن الفاعل هم كم.[٨٨]

يقول الله تعالى:﴿ ۞ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۖ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمۡ أَن تَبۡتَغُواْ بِأَمۡوَٰلِكُم مُّحۡصِنِينَ غَيۡرَ مُسَٰفِحِينَۚ فَمَا ٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهِۦ مِنۡهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةٗۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِيمَا تَرَٰضَيۡتُم بِهِۦ مِنۢ بَعۡدِ ٱلۡفَرِيضَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴾.[٨٩]

هذه الآية في معناها تابعة لآية سابقة هي قوله تعالى : ﴿ حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمۡ أُمَّهَٰتُكُمۡ وَبَنَاتُكُمۡ وَأَخَوَٰتُكُمۡ وَعَمَّٰتُكُمۡ وَخَٰلَٰتُكُمۡ وَبَنَاتُ ٱلۡأَخِ وَبَنَاتُ ٱلۡأُخۡتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِيٓ أَرۡضَعۡنَكُمۡ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمۡ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِي دَخَلۡتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمۡ تَكُونُواْ دَخَلۡتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ وَحَلَٰٓئِلُ أَبۡنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنۡ أَصۡلَٰبِكُمۡ وَأَن تَجۡمَعُواْ بَيۡنَ ٱلۡأُخۡتَيۡنِ إِلَّا مَا قَدۡ سَلَفَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴾.[٩٠]

تتضمن الآيتين السابقتين مجموعة من الأحكام الشرعية التي فرضها الله عز وجل علينا، ثم جاء بعد ذلك ما يؤكد هذه الفروض والأوامر ووجوب التزامها وهو قوله تعالى: (كتاب الله عليكم)، وهنا نجد أن هناك تفسيرين عن تفسير المقصود بالكتاب هنا، فالأول يقول إن الكتاب مقصود به هو ما كتب على المسلمين أن لا يزيدوا على الأربع[٩١]، كما كان هناك فئة أخرى من المفسرين رفضوا هذا التفسير، أما بالنسبة لإعراب (كتاب الله عليكم)؛ فقد اختلف رأي النحاة أيضاً حول إعرابه حيث انقسموا إلى قسمين[٩٢]:

القسم الأول يقول بالنصب على المصدرية؛ أي النصب على المصدر وفقاً لقول سيبويه؛ إذ يقول سيبويه إن كتاباً منصوبة بإفادة الفعل "حرمت" من معنى التشريع ليس بالفعل المضمر.[٩٣]

أما الرأي الآخر فيرى أن علامة الإعراب هي النصب على الإغراء، حيث "قال الكوفيون: هو منصوب على الإغراء بعليكم. والحق أن نسبة هذا الرأي

لعامة الكوفيين فيها شيء من مجانبة الصواب، فالفراء رأس الكوفيين يأخذ برأي سيبويه".[٩٤]

كما تعدّ البنية الصرفية واحدة من الوسائل المعبرة عن تعدد الوظائف النحوية من أجل التعبير عنها، والتي ينتج عنها اختلاف البنية التركيبية للجملة الواحدة ومن ثَم تعدد الإعراب.[٩٥]

فعلى سبيل المثال: كلمة "موعداً" في الآية الكريمة: ﴿ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴾[٩٦]؛ فهنا يمكن اعتبار كلمة "موعداً" اسم مصدر أو اسم زمان أو اسم مكان وفقاً للمعنى. [٩٧]

المحذوف في الجملة:

لقد اتفق النحاة على وجود عنصر محذوف بالجملة، لكنهم اختلفوا في تحديده، وهنا اختلفت أوجه الإعراب نتيجة الاختلاف في تقديره،[٩٨] فعلى سبيل المثال: نجد في قوله تعالى: ﴿ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ﴾[٩٩] أن "إخوانكم" مرفوعة على تقدير ضمير "فهم"، كأننا قلنا (فهم إخوانكم)، أما الفراء فيقول:[١٠٠] "ولو نصبته كان صواباً، يريد: فإخوانكم تخالطون ومثله "فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم".[١٠١]

وكذلك في قوله تعالى: (قالوا معذرة إلى ربكم)[١٠٢]، يرى ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي أن كلمة "معذرة" يجب رفعها، أما حسين الجعفي فقد روى عن أبي بكر وحفص عن عاصم أن معذرة منصوبة.[١٠٣]

يقول الفراء: "وأكثر كلام العرب أن ينصبوا المعذرة، وقد آثرت القراء رفعها، ونصبها جائز، فمن رفع قال: هي معذرة، كما قال: (إلا ساعة من نهار بلاغ)، وقد وجه ابن خالويه قراءتي الرفع والنصب في الآية قائلاً: فالحجة لمن قرأه بالرفع أنه أراد أحد وجهين من العربية: إما أن يكون أراد: قالوا موعظتنا

إياهم معذرة، فتكون خبر ابتداء محذوف، أو يضمر قبل ذلك ما يرفعه كقوله (سورة أنزلناها)[١٠٤]، يريد: هذه السورة. والحجة لمن نصب أن الكلام جواب، كأنه قيل لهم: تعظون قوماً هذه سبيلهم؟ قالوا نعظهم اعتذاراً ومعذرة".[١٠٥]

أي أننا يمكننا القول إن جميع ما سبق كان محاولات من النحاة لرسم موقف لغوي حي من أجل إظهار العلامة الإعرابية وجعلها مؤدية لدورها الصحيح.[١٠٦]

الخلاف حول مسألة اللحن في القرآن الكريم :

يزعم البعض أن هناك لحنا في القرآن الكريم؛ ويعدّ ذلك بمثابة طعن في حيثية القرآن الكريم، فقد قام هؤلاء بالاستشهاد ببعض الآيات القرآنية لإثبات زعمهم، ولكن سرعان ما ظهر جهلهم بقواعد وأسرار لغة القرآن، وهنا ظهرت مجموعة أخرى للتصدي لهم، ولتوضيح فهم الزاعمين القاصر في ميدان اللغة العربية، وهنا يقول علماء اللغة إن علم النحو واستنباط القواعد اللغوية نشأ بعد نزول القرآن الكريم بسنتين في عهد الخليفة علي بن أبي طالب، أي أنه بعد اتساع الفتوحات الإسلامية ودخول الكثير من غير العرب الإسلام، ومن ثَم الاختلاط مع المسلمين، وهنا بدأ يظهر اللحن في لسان العرب نتيجة احتكاكهم واختلاطهم بالأعاجم.[١٠٧]

وكذلك فعلى الزاعمين أن ينظروا في الآية الكريمة: (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر)[١٠٨]، أي أن الله سبحانه وتعالى من على عباده بتيسير تلاوة القرآن دون الحاجة إلى اللحن.

أما بالنسبة لتعدد اللهجات في القرآن الكريم؛ فقد قام علماء اللغة بتفسير ذلك حيث أشاروا إلى أن القرآن الكريم تم إنزاله على حروف متعددة، وذلك لأن اللغة العربية كانت متعددة اللهجات، لذا أباح الله (عز وجل) لأصحاب الرسول (ﷺ) بقراءة القرآن بما تستطيعه ألسنتهم من اللهجات المختلفة.

ولذلك نجد أن هناك تعددا في القراءات المروية عن سيدنا محمد (ﷺ)، كما اختلف الصحابة في قراءاتهم، ولذلك احتكموا إلى رسول الله، والذي أقر كلاً على قراءته، كما أنه أعلن أنها مطابقة لما أنزل الله به جبريل عليه السلام. [١٠٩]

الظواهر الصوتية وتعدد اللهجات العربية :

لعل صوت الهمزة من أكثر الأصوات العربية تقلبا، فهي تحتاج إلى جهد كبير عند النطق بها؛ مما حدا ببعضهم إلى تسهيلها مرة وإثباتها مرة أخرى، ومن هنا يمكن اختيارها كنموذج لدراسة الخلاف حول الظواهر الصوتية وتعدد اللهجات في القرآن الكريم؛ قد اختلف النحاة القدامى والمحدثون حول مخرجها وصفاتها، حيث تم تقسيم الآراء كالتالي:

الرأي الأول : تخفيف الهمزة من خلال التسهيل بين بين، كما في (وإذا خلوا إلى شياطينهم)[١١٠]، أي أنك هنا تلقي حركتها على الواو بعد حذفها. وكذلك من خلال الإبدال أو الحذف.

الرأي الثاني : الهمزتان المجتمعتان؛ أي أنه عند اجتماع الهمزتين في كلمة واحدة فيمكن في هذه الحالة تحقيق الأولى وتخفيف الثانية، كما في قوله تعالى (أأنذرتم)[١١١]، وهنا نجد أن هناك عدة آراء حولها وهي: تخفيف الثانية وتحقيق الأولى عند سيبويه، أما عند الفراء؛ فيرى ترك الهمزة الثانية مثله مثل أغلبية العرب أي يقول أنذرتهم، أما أهل الحجاز فيقولون تخفيف الثانية مع فتح الميم.

الرأي الثالث : تحقيق الهمزة مع الفصل بينهما بالألف: كما في قوله تعالى: (أئنكم تشهدون)[١١٢]، أي وضع ألف بين الهمزتين للفصل بينهما مثل: آإنك؟، وآأنت؟، كما ورد عند الفراء ، أما أهل الحجاز فيميلون إلى التخلص من نطق الهمزة، ولكن نجدهم هنا يميلون

إلى تحقيق الهمزة؛ وذلك لقربهم من القبائل البادية والتي كانت تُعرف بتحقيق الهمزة.[١١٣]

الرأي الرابع : تحقيق الأولى وحذف الثانية: نجد هنا أن قراءة عبد الله تمثل اللهجة التي تميل إلى التخلص من تكرير قراءة الهمزتين؛ لذا يتم الفصل بينهما بصوت صحيح كالراء كما في قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾[١١٤]، حيث يتم قراءتها (قل أريتم ما تدعون)، وذلك بحذف الهمزة الثانية، ولم تقتصر قراءة حذف الهمزة الثانية على عبد الله وحده بل شملت أيضاً الكسائي. [١١٥]

اختلاف الإعراب وأثره في اختلاف المعنى للآيات القرآنية :

لقد اختلف النحويون في إعراب آيات القرآن الكريم، وهذا الاختلاف ينتج عنه تغيير في المعنى: ففي قوله تعالى: (ربنا باعد بين أسفارنا) في سورة سبأ، نجد في الكلمتين "ربنا" و"باعد" قراءتين؛ الأولى هي قراءة يعقوب برفع الباء في "ربنا" وإثبات الألف بعد باء "باعد" مع فتح العين مخففة وفتح الدال. وهنا (ربنا باعد) هي جملة اسمية، والخبر فيها الجملة الفعلية (باعد)، وهذا الخبر صادر من القائلين على أنه شكوى لبعد أسفارهم لإفراطهم في الترف، وكذلك لعدم شكرهم الله على النعم التي من الله بها عليهم.

أما القراءة الثانية؛ فهي قراءة الباقيين بنصب الباء في كلمة "ربنا" وإثبات الألف بعد الباء في كلمة "باعد" مع كسر العين مخففة وإسكان الدال. وهنا نصب "ربنا" على النداء، والفعل "باعد" على أنه فعل دعاء وطلب من المولى عز وجل أن يباعد بين أسفارهم، أما بين فهي مفعول به وليس ظرف. [١١٦]

ويرجع السبب في هذا الخلاف إلى إعجاز أسلوب القرآن الذي يجعل من الصعب الإلمام والإحاطة بجميع معانيه ووجوهه، بالإضافة إلى اتسام النحويين بحرية الرأي حيث إنهم لا يعرفون معنى للحجر على الآراء أو تقديس لرأي

بعينه، وكذلك صلاحية القرآن الكريم لكل زمان ومكان وذلك لمرونة معانيه وتنوعها.

الخاتمة :

مع اعتراف العالم أجمع أن الناس جميعًا أصلهم واحد، إلاَّ أن التعصب، وزيادة الاحتقان بين الشعوب، يدفع الناس إلى التشدُّد، ولن تجد في الأديان السماوية ما يعضد ويساند هذا التعصب، وإنما هي عصبيات نشأت، وتطرف ازداد كرافد من روافد التصارع الإنساني بين الناس على البقاء والسيادة والزعامة.

ومن خلال الدراسة الحالية، استطاع الباحث أن يصل إلى مجموعة من النتائج، على النحو التالي:

انطلاقا من مفهوم التسامح اللغوي على أنه (اللين) تشكل مفهوم التسامح الاصطلاحي ليدل على قبول الاختلاف، وقد جاء أن التسامح اللغوي لا يعني إقصاء اللغة الأم وجعل لغة التواصل بلغة ثانية هي النافذة الوحيدة للتواصل الوظيفي والحياتي، وهذا ما تبدى في كثير من الدول العربية؛ إذ لا يعد اهتمام العرب باللغات الأخرى من باب التسامح اللغوي بقدر ما هو انبهار بلغة الآخر.

وثبت أن قضية القضاء على العربية الفصحى أو اللهجات العامية ليست بجديدة، وعلى الرغم من كل ما قيل وسيقال، لن يستطيع دعاة العربية الفصحى القضاء على اللهجات العامية ولا دعاة اللهجات العامية القضاء على اللغة الفصحى، فجميع المحاولات التي قام بها أنصار كل فريق باءت بالفشل لأنها أشبه ما تكون محاولة تغيير للظواهر الطبيعة.

وبعد الاطلاع على أوجه الخلاف بين المدرستين البصرية والكوفية نجد أنه لا داعي لقول إن مثل هذه النقاط هي أوجه خلاف وتعصب وتشدد بين

المدرستين؛ إذ تتمثل أوجه الخلاف حول، جوانب فرعية وليست أساسية في الدراسات النحوية، كما أن وجود هذا الخلاف أدى إلى المبالغة في الصناعة، وتضخم كتب النحو، وعدم الأخذ بالقراءات، والتحامل على فريق لصالح فريق آخر، وكذلك تغيير بعض المصطلحات. ولكن في النهاية علينا ألا ننسى أن كلا من المدرستين كان يعمل من أجل إكمال صرح النحو والصرف، وتيسير النحو وقواعده، وكذلك زيادة بعض التراكيب والأدوات والوجوه الإعرابية، إلى جانب تدريب الطلاب على احترام اختلاف وجهات النظر.

وأخيرا يرجع السبب في اختلاف القرآات القرآنية إلى إعجاز أسلوب القرآن الذي يجعل من الصعب الإلمام والإحاطة بجميع معانيه ووجوهه، بالإضافة إلى اتسام النحويين بحرية الرأي حيث إنهم لا يعرفون معنى للحجر على الآراء أو تقديس لرأي بعينه، وكذلك صلاحية القرآن الكريم لكل زمان ومكان وذلك لمرونة معانيه وتنوعها.

هوامش البحث ومصادره

إن خير مانبتديء به القرآن الكريم

(١) ابن منظور، لسان العرب، مادة سمح.

(٢) ابن منظور، مصدر سابق.

٣ الحصري ساطع، حول الفصحى والعامية، ١٩٥٧، ص 241،242 .

٤ علي عبد الواحد وافي، فقه اللغة، دار النهضة مصر للطباعة والنشر، ١٩٧٢، ص153.

٥ أنور الجندي، الفصحى لغة القران، دار الكتب اللبناني، ١٩٨٢، ص203.

٦ أنور الجندي، الفصحى لغة القران، دار الكتب اللبناني، ١٩٨٢، ص203.

٧ مجموعة مؤلفين، نحو معجب تاريخي للغة العربية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ٢٠١٤.

٨ محمود القاسم، الأدب العربي المكتوب بالفرنسية، E- Kutub Ltd، ٢٠١٧، لندن، ص72.

٩ يحيي عطية عن الكاتب بلال البدور، مقال بعنوان الفصحى والعامية.. تواصل يعوزه تفسير، ٢٠١٨،

١٠ تيمور محمود، العامية الفصحى، ١٩٦١، ص127، 128.

١١ عباس المصري، عماد أبو الحسن، بحث بعنوان الازدواجية اللغوية في اللغة العربية، ٢٠١٤،

١٢ (القعود، ١٤١٧هـ، ص١٩)

١٣ (الفلاي، ١٤١٧ هـ، ص٢١)

١٤ د. سعد بن علي بن سعد آل سعد الغامدي، بحث بعنوان تأثر الازدواجية اللغوية في العربية في استعمال متعلمي اللغة العربية لغة ثانية، ٢٠١٧، ص 63، 65.

١٥ نادر سراج، إشكالية الازدواجية اللغوية في اللسان العربي، ص٢١٤.

١٦ نادر سراج، إشكالية الازدواجية اللغوية في اللسان العربي، ص٢١٩.

١٧ ضيف، شوقي عبد السلام جاد، بين الفصحى والعامية المصرية، ١٩٩٠، ص ١٣٤.

١٨ ضيف، شوقي عبد السلام جاد، بين الفصحى والعامية المصرية، ١٩٩٠، ص 135،137، 145، 146، 149.

١٩ وفاء نجار، بحث بعنوان العربية بين العامية والفصحى.

٢٠ وفاء نجار، بحث بعنوان العربية بين العامية والفصحى.

٢١ سهيلي نوال، البرامج الثقافية الإذاعة الجزائرية، ٢٠١٨، ص٩٠.

٢٢ د. إسماعيل حمدي محمد، الضوابط الشرعية للإعلام، ص٢٢٨.

٢٣ علي درويش، إيمان ريمان، بين العامية والفصحى: مسألة الازدواجية في اللغة العربية في زمن العولمة، ص٢٠٠.

٢٤ د. إسماعيل حمدي محمد، الضوابط الشرعية للإعلام، ص٢٢٨.

٢٥ د. حسن علي محمد، لغة الإعلام العربي المعاصر، دار الفجر للنشر والتوزيع، ٢٠١٦، ص٥٠.

٢٦ علي درويش، إيمان ريمان، بين العامية والفصحى: مسألة الازدواجية في اللغة العربية في زمن العولمة، ص202، 203.

٢٧ سهيلي نوال، البرامج الثقافية الإذاعة الجزائرية، ٢٠١٨، ص٩٢.

٢٨ فريال مهنا، لغة الإعلام العربي بين الفصحى والعاميات، الإذاعات العربية، العدد ٢، ٢٠٠٠، ص٣١.

٢٩ سهيلي نوال، البرامج الثقافية الإذاعة الجزائرية، ٢٠١٨، ص٩٢.

٣٠ أنيس فريحة، نحو عربية ميسرة، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٣، ص122، 123.

٣١ التعايش بين العربية الفصحى واللهجات العامية، يعقوب بن حسن، ص ١٢

٣٢ د. شوقي ضيف، المدارس النحوية، دار المعارف، ١٩٨٧، ص٥.

٣٣ أحمد بن محمد المجرشي، بحث بعنوان المدارس النحوية، النشأة والخلاف في المفهوم والوجود، ٢٠١٨،

٣٤ د. إبراهيم السامرائي، المدارس النحوية أسطورة وواقع، ١٩٨٧، ص ١٢،١٣.

٣٥ د. عبد الأمير محمد أمين الورد، المدارس النحوية بين التصور والتصديق والسؤال الكبير، المكتبة العصرية- بغداد، ١٩٩٧، ص٥.

٣٦ د. محمود قدوم، مدرسة البصرة النحوية، ص١١.

٣٧ الجمحي، محمد بن سلام، طبقات فحول الشعراء، مطبعة المدني، القاهرة، ١٩٧٤، ص١٢.

٣٨ د. شوقي ضيف، المدارس النحوية، دار المعارف، ١٩٨٧، ص٥،٦.

٣٩ المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف، مقال بعنوان مدرسة البصرة النحوية، ٢٠٠٨.

٤٠ د. عبده الراجحي، مدرسة البصرة النحوية، ٢٠١٥،

٤١ د. إبراهيم السامرائي، كتاب المدارس النحوية أسطورة وواقع، دار الفكر للنشر والتوزيع، ١٩٨٧، ص١٩.

٤٢ محمد الطنطاوي، نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، دار المعارف، ص٢٩.

٤٣ محمد الطنطاوي، نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، دار المعارف، ص٢٩.

٤٤ د. محمود قدوم، مدرسة البصرة النحوية، ص١٣،١٤.

٤٥ د. إبراهيم السامرائي، كتاب المدارس النحوية أسطورة وواقع، دار الفكر للنشر والتوزيع، ١٩٨٧، ص٢٢.

٤٦ د. محمود قدوم، مدرسة البصرة النحوية، ص١٦.

٤٧ عبد الرحمن السيد، مدرسة البصرة النحوية: نشأتها وتطورها، دار المعارف، ص٢٤٤.

٤٨ المختار أحمد ديرة، دراسة في النحو الكوفي من خلال معاني القرآن للفراء، ص٤٦.

٤٩ د. شوقي ضيف، المدارس النحوية، دار المعارف، مصر، ١٩٦٨، ص١٥٤.

٥٠ المختار أحمد ديرة، دراسة في النحو الكوفي من خلال معاني القرآن للفراء، ص٤٧.

٥١ المختار أحمد ديرة، دراسة في النحو الكوفي من خلال معاني القرآن للفراء، ص٤٧.

٥٢ السيوطي، بغية الوعاة، ص٣٦٦.

٥٣ واثق زبيبة، المدرسة الكوفية النحوية، ٢٠١١،

٥٤ د. شوقي ضيف، المدارس النحوية، دار المعارف، مصر، ١٩٦٨، ص١٦٤.

٥٥ المختار أحمد ديرة، دراسة في النحو الكوفي من خلال معاني القرآن للفراء، ص٤

٥٦ د. خديجة الحديثي، المدارس النحوية، ص١٦٧.

٥٧ واثق زبيبة، المدرسة الكوفية النحوية، ٢٠١١،

٥٨ المختار أحمد ديرة، دراسة في النحو الكوفي من خلال معاني القرآن للفراء، ص٤

٥٩ المختار أحمد ديرة، دراسة في النحو الكوفي من خلال معاني القرآن للفراء، ص١٠٩.

٦٠ المختار أحمد ديرة، دراسة في النحو الكوفي من خلال معاني القرآن للفراء، ص١١١.

٦١ د. إبراهيم عبد الله رفيدة، النحو وكتب التفسير، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، ١٩٨٤.

٦٢ أ.د. عبد القادر سلامي، مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو للدكتور مهدي المخزومي –عرض وتوجيه، ص١٧٧.

٦٣ المختار أحمد ديرة، دراسة في النحو الكوفي من خلال معاني القرآن للفراء، ص١١١.

٦٤ ابن النديم، أبو الفرح محمد بن إسحاق، الفهرست، ١٩٩٧، دار المعرفة، بيروت، ص١٤٥.

٦٥ إيمان إياد إبراهيم عبد الجواد، بحث بعنوان المسائل الخلافية بين البصريين والكوفيين في "إعراب القراءات السبع وعللها"، لابن خالويه (دراسة وصفية تحليلية)، ٢٠١٧، الجامعة الإسلامية، غزة، ص١٧.

٦٦ عوض، سامي رفيق، الخلاف النحوي بين مدرستي البصرة والكوفة في موقفهما من السماع في اللغة، ٢٠١١، ص٧٤.

٦٧ عوض، سامي رفيق، الخلاف النحوي بين مدرستي البصرة والكوفة في موقفهما من السماع في اللغة، ٢٠١١، ص٧٤، ٨٠.

٦٨ د. محمود قدوم، مدرسة البصرة النحوية، ص٢٧،٢٨.

٦٩ د. محمود قدوم، مدرسة البصرة النحوية، ص٢٨،٢٩.

٧٠ محمود، هلال علي، دلالة اختلاف قراءة فاعل وفعل في القرآن الكريم، ٢٠١٤، ص٥٥.

٧١ ليلى برجس محمد أبو الغنم، أثر تعدد اللهجات العربية في النحو العربي، ٢٠٠٣، ص١،٥٣.

٧٢ سورة يوسف، الآية ٣١.

٧٣ سورة المجادلة، الآية ٢.

٧٤ سورة الحاقة، الآية ٤٧.

٧٥ ليلى برجس محمد أبو الغنم، أثر تعدد اللهجات العربية في النحو العربي، ٢٠٠٣،

٧٦ شرح ابن عقيل، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار العلوم الحديثة، بيروت، ١٩٦٤، ص٤٦٨

٧٧ ابن هشام الأنصاري، أوضح المسالك الجزء الثاني، ص٩١.

٧٨ سورة المائدة، الآية ٧١.

٧٩ سورة الأنبياء، الآية ٢.

٨٠ شرح ابن عقيل، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار العلوم الحديثة، بيروت، ١٩٦٤، ص٣٩٤

٨١ شرح ابن عقيل، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار العلوم الحديثة، بيروت، ١٩٦٤، ص٤١٣.

٨٢ شرح ابن عقيل، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار العلوم الحديثة، بيروت، ١٩٦٤، ص٤١٤.

٨٣ ليلى برجس محمد أبو الغنم، أثر تعدد اللهجات العربية في النحو العربي، ٢٠٠٣، ص٥٠،٥١.

٨٤ سورة طه، الآية رقم ١٢٨.

٨٥ سورة السجدة/ الآية رقم ٢٦.

٨٦ مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، البعد الدلالي في الخلافات النحوية في إعراب آيات القرآن الكريم: نماذج من كتاب المشكل لمكي، ٢٠٠٣، ص١٩.

٨٧ مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، البعد الدلالي في الخلافات النحوية في إعراب آيات القرآن الكريم: نماذج من كتاب المشكل لمكي، ٢٠٠٣، ص٢٠.

٨٨ المشكل ٤٧٤، تفسير القرطبي ١١/ ١٧٢، فتح القدير ٥١٥/٣، معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣/ ٣٧٩.

٨٩ سورة النساء، الآية رقم ٢٤.

٩٠ سورة النساء، الآية رقم ٢٣.

٩١ تفسير الطبري ١١/٤، تفسير ابن كثير ٦٣٠/١، الدر المنثور ٢٤٩/٢.

٩٢ المشكل ١٩٤.

٩٣ المشكل ١٩٤.

٩٤ الفراء، معاني القرآن، ص٢٦٠.

٩٥ دور البنية الصرفية في وصف الظاهرة النحوية وتقعيدها، ص١٨١.

٩٦ سورة طه، الآية رقم ٥٨.

٩٧ المليفي، خالد بن سليمان بن عبد العزيز، أثر اختلاف الدلالة اللفظية الصرفية للكلمة في الإعراب: دراسة تطبيقية في القرءان الكريم، ٢٠١٦، ص٢٥.

٩٨ عبد اللطيف، محمد حماسة، تعدد أوجه الإعراب في الجملة القرآنية، ١٩٨٤، ص٩٣،٩٤.

٩٩ سورة البقرة، الآية رقم ٢٢٠.

١٠٠ الفراء، معاني القرآن، ص١٤١.

١٠١ سورة الأحزاب، آية رقم ٣٣.

١٠٢ سورة الأعراف، الآية رقم ١٦٤.

١٠٣ د. شوقي الضيف، السبعة في القراءات، دار المعارف، ص٢٩٦.

١٠٤ سورة النور، الآية رقم ١.

١٠٥ ابن خالويه، الحجة في القراءات السبع، ص١٤١.

١٠٦ د. محمد حماسة عبد اللطيف، تعدد أوجه الإعراب في الجملة القرآنية، ص٥٩.

١٠٧ دياب، أحمد رمضان مصطفى، مشكلات الإعراب في القرآن الكريم: افتراءات وردود، ٢٠١٤، ص١١١١،١١١٦.

١٠٨ سورة القمر، الآيات رقم ١٧،٢٢، ٣٢،٤٠.

١٠٩ دياب، أحمد رمضان مصطفى، مشكلات الإعراب في القرآن الكريم: افتراءات وردود، ٢٠١٤، ص١١١٧.

١١٠ سورة البقرة، الآية رقم ١٤.

١١١ سورة البقرة، الآية رقم ٦.

١١٢ سورة الأنعام، الآية رقم ١٩.

١١٣ سليمان، يسري محمد محمود، اللهجات العربية في كتاب إعراب القرآن للنحاس، دراسة صوتية، ٢٠١٥، ص٢٦٤-٢٦٦

١١٤ سورة الأحقاف، الآية رقم٤.

١١٥ سليمان، يسري محمد محمود، اللهجات العربية في كتاب إعراب القرآن للنحاس، دراسة صوتية، ٢٠١٥، ص٢٦٦،٢٦٧.

١١٦ بوزياني، عبد القادر، أثر اختلاف الإعراب في تحديد المعاني، ٢٠١٥، ص ٢٣٠،٢٣١.